استخدامات الذهب في العصر العباسي

132هـ - 656هـ

مها عمران المطيري

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استخدامات الذهب في العصر العباسي

132هـ -656هـ

الباحثة:

مها عمران المطيري

قسم التاريخ

جامعة القصيم

2024م

تحت إشراف الدكتورة

أ.د.شيخة الحربي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

الحديث عن المعادن والتعدين في التراث العربي والإسلامي موضوع واسع ومتشعب، حيث حظيت البلاد الإسلامية بتنوع الثروات الطبيعية فيها، فكانت من أكثر البلاد غنىً بكافة الموارد الطبيعية ومن ضمنها المعادن وأهمها الذهب.

حيث تعد الثروة المعدنية من أهم الثروات الطبيعية الموجودة في العالم الإسلامي، واستثمرها المسلمون في البلاد في مجالات الحياة كافة والمعادن وخاصة الثمينة كالذهب والأحجار الكريمة من الأشياء الفريدة في الكون، التي أبدع الخالق سبحانه وتعالى في صنعها، وجمالها وتعدد ألوانها وأشكالها. وقد بلغ الاهتمام بها في مختلف العصور التاريخية، وخاصة فترة الدارسة العصر العباسي الأول والثاني، فكان هناك حرص من خلفاء بني العباس على اقتناء كل غالٍ وثمين من هذه المعادن والأحجار الكريمة، التي لم يوجد مثلها عند غيرهم من أهل عصرهم. ويعد الذهب من أبرز المعادن التي لاقت رواجا واسعا منذ القدم لدى مختلف طبقات المجتمع، حيث برز لذهب استخدامات عديدة في عدة مجالات كاللباس والزينة والتداوي وبعض الصناعات والعلوم.

وتعد التجارة بالمعادن الثمينة في تطور النشاط الاقتصادي حيث تمتعت الأسواق في ظل الخلافة بالحماية والرعاية وعاملا مهما من عوامل انتشار الاسلام والثقافة العربية في مناطق والأقاليم القاصية.

استخدام الذهب في اللباس والزينة

شغلت الملابس وصناعة النسيج حيزاً كبيراً في حياة الناس سواء كان قبل الإسلام أم في العصور التي توالت بعده، فتدرجت وتنوعت الصناعة من البسيط الى الغالي النفيس الذي طرأ عليه التجديد والفن من خلال احتكاك العرب واتصالهم مع سكان البلدان التي فتحوها.

فقد ازدهرت صناعة النسيج في البلاد الإسلامية وأصبحت من أهم الصناعات التي تعتمد عليها معظم الدول في العالم الإسلامي وعرفت مصانعها باسم دور الطراز [1] وقد انتشرت تلك الصناعات في معظم المدن والقرى الإسلامية، وأصبح لها أهمية خاصة ووسائل نقل وموظفين يقومون بالإشراف على تلك الصناعة [2].

ومع تطور صناعة الأقمشة في الأقاليم الإسلامية، بدأت تأخذ في الغالب أسماء المدن التي صنعت فيها، حيث إن العديد من المدن الإسلامية في العصر العباسي قد تخصصت في صناعة بعض الأقمشة الإسلامية مما جعلها تنتسب إليها مثل صناعة الديباج وهو قماش لامع وملون، يعتبر تقليدا للحرير الصيني، حيث كان في مصر دار خاصة تعرف بدار الديباج [3].

واشتهرت بغداد بصنع الثوب البغدادي وغالبا ما يكون هذا النسيج البديع مزخرفا بأشكال الحيوانات والطيور ومنسوج بخيوط من الذهب والفضة، ونظرا لارتفاع ثمنه اقتصر على الكسوات السلطانية والهدايا الثمينة [4].

وهناك قماش آخر عرف بالقماش الديبقى أو الدبيقية، وهو عبارة عن قماش مزركش ينسج في مدينة دابق القريبة من مدينة دمياط والحلبي المنسوج في مدينة حلب وهو لباس منسوج من الحرير المزخرف بالذهب [5].

---

(1) كلمة جاءت من الفارسية بمعنى التطريز أو الدار التي ينسج فيها القماش (ابن خلدون، المقدمة، ص.211.

(2) المقريزى، الخطط المقريزية ج 2، ص.211

(3) المقريزي، الخطط ج2، ص 344

(4) فريال داؤود المختار–المنسوجات العراقية من الفتح الى السقوط– بغداد –دار الحرية –1976–ص22–23

(5) البلاذري – معجم البلدان، ج 4، ص3

وفي قرية الكرخ كانت تصنع الثياب والستائر الإبريسميه المطرزة بالذهب التي كان الخليفة الناصر لدين الله يرسلها لكسوه الكعبة والضريح النبوي في المدينة [1].

وكان استعمال الذهب في النسيج منذ القدم، حيث كان الصناع يقطعون الذهب الى صفائح رقيقة ثم يسحبون هذه الصفائح إلى خيوط ويدمجونها مع خيوط النسيج، واشتهرت هذه الطريقة في مصر وانتشرت الى الممالك الشرقية.

حيث تميزت اللباس في العصر العباسي بالتنوع سواء في أشكاله أو في مواد صنعه، واعتبرت عنصرا من عناصر الجمال والزينة عند النساء والرجال، واللباس يعتبر من الزينة حيث أن هناك لباس للجسد ولباس لرأس ولباس للقدم، وجميع هذه الملابس زينت بخيوط الذهب والفضة ورصعت بالجواهر الذي يعد نوعا من أنواع الترف او لتمييز بين عامة الناس ورجال الدولة.

وكانت دور الطراز في دمياط، تنتج الأنواع الفاخرة من النسيج. حيث تعددت الملابس الرجالية مثل أغطية الرأس المتنوعة واستعملت العديد من قطع الملابس المرتبطة بها، ومن هذه القطع التاج الذي استعمله خلفاء بني العباس وهي عبارة عن طاقية عالية مصنوعة من الصوف او الكتان مطرزة بالذهب الامع ومرصعة بالمجوهرات [2].

والتيجان كانت معروفة منذ أوائل العصر العباسي فقد ذكر المسعودي أنه عندما قلد المعتز الخلافة توج بتاج من ذهب [3].

ولما ولى المتوكل الخلافة توج بتاج من ذهب وقلنسوة بجوهرة ووشاحين مجوهرين، وأهدى خالد المهلبي إلى الخليفة المتوكل ثوب وشى منسوج من الذهب والجواهر الثمينة وثوباً بغدادياً فأعجبه [4].

كما ارتدوا الرجال في العصر العباسي الشاشية التي هي عبارة عن قلنسوة وكانت القلنسوة غطاء لرأس و تلبس وحدها او تلف حولها العمامة [5]، واسمها نسبة إلى مدينة الشاش في بلاد ما

([1]) الكرخ – محلة وسط بغداد بالقرب من باب البصرة –ياقوت الحموي، معجم البلدان –ج4–ص448) (الابريسيم: اجود وافضل أنواع الحرير)

([2]) (دوزي – المعجم، ص 86–87)

([3]) (مروج الذهب – المسعودي – ج 3–ص 402)

([4]) (البيهقي، ابراهيم بن محمد ت320هـ –المحاسن والمساوئ –ص241)

([5]) (الجاحظ: التاج –ص48)

وراء النهر وهذه القطعة يطلق عليها لباس أعجمي كما جاء على لسان الجاحظ عند وصفهم بأنهم أصحاب القلانس الشاشية وهذه اللباس كان مميز لديهم، وقد أخذت العرب هذا النوع من لباس الرأس عن الأعاجم [1].

وقد جرت العادة في العصر العباسي أن تزين القلانس بمواد ثمينة كالجواهر وخيوط الذهب على أطرافها [2].

ولقد اتخذ الخلفاء والوزراء في العصر العباسي لكل مناسبة عمامة خاصة بها ولاسيما خروجهم في المواكب، ومما يذكر عن الخليفة هارون الرشيد انه كان يرتدي في المجالس العامة عمامة خُز سوداء وفي مجالس التسلية وسماعة الشعر والمواكب العامة يلبس عمامة وشي مذهبة [3].

وكانت أيضا من أنواع ملابس الرجال ما يعرف بطيلسان (والطيلسان أصله فارسي وهي تعتبر قطعة بدون خياطات.

هو عبارة عن ثوب خارجي خال من التفصيل والخياطة؛ منه المربع الشكل، والمثلث والمدور؛ يجعل على الراس فوق العمامة أو القلنسوة ولقد لبسه العلماء والفقهاء وكان يميزهم عن عامة الناس، ويغطى به أكثر الوجه ثم يُدار طرفان منه تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة جميعها ثم يلقيان على الكتفين، أما طرفاه الاخران فأنهما يدليان على الظهر [4].

وأيضا اتخذه الخلفاء ورجال الدولة وكانت له ألوان عديدة، وألوان الطيلسان مختلفة منها البيضاء؛ ومنها السوداء والزرقاء [5].

وارتدى الكثير من الناس الطيلسان فعندما تقلد الربيع ابن يونس الوزارة لبس الطيلسان، لأنه يُعد زياً رسمياً وكان القضاة يلبسونه عند حضورهم مجالس ومواكب الخلفاء، فكان الطيلسان يصنع من نسيج الكتان والقطن وبتنوع نسيجه تنوعت اشكال تزيينه وزخرفته والغالب على زينته هي خيوط الذهب [6].

([1]) (الجاحظ رسائل مناقب الترك –ص 19-20)

([2]) (المسعودي مروج الذهب ج 4ص57).

([3]) (البيهقي، المحاسن والمساوئ، جـ2، ص361.) (الجهشياري، الوزراء، ص73-274.

([4]) الهمذاني، مقامات، ص148، ص149

([5]) الجاحظ، البيان، جـ8،ص342

([6]) الجاحظ، البيان، جـ2،ص342

وهناك أيضا الجبة وهي رداء مفتوح يلبس فوق الملابس وتكون قصيرة، وقد شاع استعمالها فشملت معظم طبقات المجتمع، فهي لباساً عام لبسه أعاظم الناس وأصاغرهم فبذلك تنوعت انسجت صنعه وطريقة تزيينه كلا على حسب مكانته فكانت في الغالب تزين بخيوط الذهب.

وأيضاً من ملابس الرجال التي كانوا يستعملوها بكثرة البردة أو الشملة وهي غطاء البدن من قماش مخطط وكان يلتحف بها الرجال. والحيرة أيضا من ملابس البدن للرجال وهي نوع من البرد، وهو رداء واسع زخرفته تكون مخططه وموشية أغلبها بالذهب حيث وصفها ابن منظور في لسان العرب بأن الحيرة ضرب من البرود اليمانية [1].

كما تنوع لباس المرأة في العصر العباسي تبعاً لرقي والتطور الذي وصلت اليه الدولة، كانت تعتني بجمالها ومظهرها بشكل كبير حيث تتفاوت مدى هذه العناية تبعاً لطبقة التي تنتمي أليها، فكان اهتمام المرأة بملابسها بشكل كبير من [2] ناحية خياطتها ونوع نسيجها وألوانها وتطريزها بخيوط الذهب [3].

وملابس النساء كملابس الرجال تختلف من حيث الغاية المرجوة كملابس الرأس والبدن والارجل، فمن ملابس الرأس كانت المقنعة التي تغطي بها المرأة رأسها؛ وهي ذات الوان ولاسيما الأسود [4]

والعصابة التي تعصب بها رأسها والنقاب الذي يضعنه على وجوههن وله ألوان مختلفة وهي قطعة ملونة من قماش الحرير أو الكتان أو القطن تشدها المرأة على جبينها وتربطها من الخلف وتعلق بها الخرزات أو قطع من الذهب [5].

وهناك اهتمام النساء في العصر العباسي بالعصائب، باعتبارها رونقاً فوق الرؤوس، فأخذت النساء تزين عصائبهن بالنقوش الجميلة وتطرزها بخيوط الذهب، حيث كانت تزين الملابس بكتابة

([1]) لسان العرب –ابن منظور –ج 4-ص159

([2]) المسعودي مروج الذهب،جـ4، ص53

([3]) (الصابي – رسم الخلافة –ص90 + البيهقي –المحاسن والأضداد –ج1-ص499)

([4]) (ابن سيدة، ابي الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ)، المخصص، المكتب التجاري (بيروت،بلات)، جـ4، ص38

([5]) (الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت429هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ/1938م)، ص249)

الأشعار عليها بخيوط الذهب والفضة وظهر العديد من العصائب المكللة بالجواهر ومطرزة بالأشعار بشكل كبير [1].

و لم يقتصر استخدام الذهب في تزيين الملابس بل كان له النصيب الأكبر والأساس في صناعة الحلي، والحلي هي كل مادة اتخذها الإنسان للتحلّي بها، سواء وضعها على جسمه أم على لباسه، واستُخدمت عبر التاريخ من قبل الكبار والصغار الرجال والنساء في المناسبات الاجتماعية والدينية المختلفة.

وزينة المراءة ولباسها في هذا العصر من المواضيع المهمة التي يدل على مدى التطور الحضاري والاجتماعي والاقتصادي، وقد تزينت المرأة بأنواع متعددة من الحلي، والحلي عامة من ضروب الزينة التي عرفت المرأة استعمالها منذ القدم، وأصبحت ركيزة من ركائز الزينة عندها.

وقد استعملت أنواع عديدة من المواد الأولية في صناعة الحلي، مثل الأحجار الكريمة والمعادن النفيسة وبعض المواد غير المعدنية مثل الخرز والزجاج. ولكن معدن الذهب يعد من أهم المعادن التي صنعت منها الحُلي فقد كان معروفا عند العرب منذ القدم وحتى تطور العصور الإسلامية.

ويصف الخطيب البغدادي سيدات المجتمع العباسي، بأنهن اتخذن زينة عظيمة من حلي الذهب والجواهر والأحجار الكريمة المشغولة ببغداد وسائر المدن والعواصم في الأقاليم المجاورة، فجلبن الانتباه بفخامة ملابسهن وزينتهن وحليهن.

والحلي أنواع ومنها ما هو زينة للرأس والشعر وزينة أخرى للبدن، وكان من أنواع الحلي المستخدمة لرأس ما يسمى بالتاج. ومما ذكر في هذا الشأن أن الخليفة هارون الرشيد جهز زبيدة بالإضافة الى الجوهر والحلي بعدد من التيجان المصنوعة من الذهب المرصع بالجواهر، وأيضا مما ورد عن الجارية التي عرضت على الخليفة العباسي المأمون كان على رأسها تاج من ذهب، مما يدل أن التاج استعمل كحلية نسائية في العصر العباسي حيث تميزت أغلب التيجان النسائية بأنها تغطي الجزء العلوي من الرأس.

وهذه التيجان مصنوعة من الذهب ومزينة بأنواع متعددة من الأحجار الكريمة و اللإلى [2].

([1]) (الأغاني–ص ٨٣ –ج ٩)

([2]) زكية العلي –التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي –113-115)

كما كان من أنواع حلي الرأس أيضا حلِي الآذان، فكانت النساء تلبس «الأقراط» والشنوف» التي كانت تصنع غالبيتها من الذهب. (والقرط هو ما يعلق بالأذن ويتطلب ذلك ثقب شحمة الأذن.

أما النوع الأخر من زينة الاذن هو ما يعرف بالشنوف وهو يعلق في أعلى الاذن ويعتبر من أنواع حلي الاذن ويكون بالأغلب من الذهب او الفضة [1].

هناك أيضا حلي تزين البدن وهي كثيرة حيث أقبلت المرأة على استخدام القلائد (العقد) وهي من الحلي التي تزين بها العنق والصدر وتصاغ هذه الحلي غالبا من الذهب الخالص.

وكانت القلائد في العصر العباسي على أنواع عديدة بحيث تختلف بالطول والحجم والشكل، ومنها المنخنقة او المخنقة: هي قلادة ضيقة تلتصق بالرقبة، ويبدو أن هذه التسمية جاءت من الخنق وتكون في وسط الرقبة وتصاغ عادة من الذهب الخالص او الفضة وتزين بالأحجار الكريمة [2].

ومن حلي الصدر أيضا العقد او القلائد هو خيط ينظم فيه اللؤلؤ والخرز وقطع من الذهب ويعقد حول الرقبة، وجاء في القاموس المحيط أن القلادة ما جعل في العنق من الحلي. والقلادة أطول من المخنقة وجمعها قلائد وهي شائعة عند النساء، والقلادة هي (العقد) وهي أهم حلية تزين بها المرأة صدرها حيث تتفاوت بالطول والحجم [3].

ومن حلي البدن عند النساء حلية الأصابع وهي عدة أنواع مثل الخاتم وهو من حلي الاصابع وهو قد يكون حلقة من الذهب أو الفضة تزين بفص من اللؤلؤ أو العقيق أو الياقوت وتضع النساء الخواتم في أصابع اليدين والقدمين [4].

([1]) (ابن سيده –المخصص- ج4-ص43)

([2]) الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، ط2، دار الجيل، بيروت، ج2

([3]) زكية عمر العلي – التزييق والحلي عند المرأة في العصر العباسي –ص166)

([4]) (الثعالبى – فقه اللغة – الجزء الثالث ص 111. دار المعارف 1976م).

استخدام الذهب في العمارة والفنون

العمارة الإسلامية هي فن من الفنون المعمارية التي ترتبط بالثقافة والتاريخ الإسلامي، وهي تعبر عن تقاليد وقيم دينية وثقافية، وتميزت العمارة الإسلامية بتنوع مبانيها وتعددها، ما بين المباني العامة والمباني الخاصة والمباني الدينية، كالمساجد والمدارس والقصور والأسواق وغيرها، والتي تميز بها المسلمون منذ القدم.

حيث أبدع الخلفاء العباسيين في مجال العمارة وأظهروا اهتماما كبيرا ودعما في هذا الجانب من بناء المدن في أقاليم الدولة وتشيد القصور والجوامع التي تبنت هندسة معمارية متقدمة تجلت في الاستخدام البارع للأقواس والاعمدة والتفاصيل الزخرفية التي تعد مثالا على ازدهار وحضارة الدولة.

وتعددت الأساليب الجمالية وموادها لا ضفاء لمسة من الجمال والفخامة والبريق على المباني، حيث استخدم معدن الذهب لتزيين التفاصيل الجمالية للعمارة سواء كان على الجدران أو السقوف التي كانت تتخذ أنواعا مختلفة وأشهرها تصميما هي ما يعرف بالقبة.

اذ انها تعد واحدة من أقدم سقوف الابنية على اختلاف جنسها، والقبة عنصر معماري استخدم كنوع من أنواع التسقيف، وتتخذ نصف كرة مجوفة تعلوا الابواب والمجالس وتفاوتت اشكال واحجام القباب وتختلف باختلاف مواد البناء المستخدمة في إنجازها، فضلا عن تقنية بناءها والطرز المعمارية السائدة في اماكن بناءها وغيرها من المؤثرات الاخرى، وكانت النقوش المميزة لبعض القباب وطريقة تغليفها وطلاءها بالخامات المختلفة مميزة الشكل والهيئة.

وكان من اهم أساليب تحلية وتزيين القباب المتعارف عليها استخدام ألواح الخشب، أو النحاس أو تغطية القباب بألواح الذهب أو الرخام المحفور متنوع الزخارف، مثل الزخرفة النباتية والهندسية والكتابات القرآنية الكريمة، وتغلف القباب بقطع مطلية من الذهب.

وكان استخدام الذهب في تزيين القصور منتشرا بشكل كبير حيث تميزت العمارة العباسية بالفخامة والتفرد في التصميم واستخدام المواد الثمينة مثل الذهب والفضة. حيث كان جمال التزيين يتجلى في الزخرفة الجمالية على الجدران والسقوف والأعمدة وفي الاثاث داخل القصور، وكانت هذه الزينة مصنوعة بمهارة عالية بحيث تعبر عن الثقافة والرفاهية في تلك الفترة.

واعتبرت القصور الإسلامية من النماذج الرائعة للبناء الجميل والزخارف الجميلة والذوق الرفيع حيث تميزت بكونها أجمل ما في العمارة والجمال كان يأتي من زخرفة الجدران والمقرصنات

والقباب وتفاصيل البناء.

وكان مما أبدعوا في بنائه قصر القرار حيث قامت زبيدة بنت جعفر العباسية ببناء القصر وكان يعرف باسم قصر زبيدة، وسكنه ابنها الخليفة الأمين وكان يقع على ضفة نهر دجلة، حيث تم تذهيب السقوف والجدران وكانت جدران القصر بيضاء اللون تحيط بها إزارة ذهبية. أما أبوابه فكانت ضخمة مزينة بمسامير الذهب المرصعة بالجواهر النفيسة. وتم فرشه بأفخر الستائر والسجاد فكان من السجاد سجادة حمراء عليه صور للصقور من الذهب وفي جوانب القصر الكثير من التماثيل الذهبية التي زينت ممراته [1].

وكان من ابداع الخلفاء العباسيين في البناء القصور وتزييتها ما بناه المقتدر بالله في أول القرن الرابع داراً فسيحة ذات بساتين عرفت بدار الشجرة، لشجرة كانت فيها مصنوعة من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة، لها ثمانية عشر غصناً من الذهب والفضة لكل غصن منها فروع كثيرة مكللة بأنواع الجوهر على شكل الثمار، وعلى أغصانها أنواع الطيور من الذهب والفضة، إذا مر الهواء عليها أبانت عن عجائب من ضروب الصفير والهدير [2].

ولم يكن الابداع في التزيين المعماري مقتصرا على بغداد ومبانيها بل كان في جميع أقاليم الدولة حيث تميز قصر ابن طولون في مصر في عهد ابنه خمارويه [3].

أنه كان حول الميدان بستان عجيب عمل فيه برجاً من خشب الساج المنقوش بالذهب وكما عمل مجلساً طلى حيطانه كلها بالذهب وزين جدرانه بالتصاوير المذهبة [4].

والى أقليم الاندلس حيث استعمل الذهب في تزيين وتأثيث القصور والدور بشكل واسع في جميع مدن الاندلس. و القصر الكبير وهو آية من آيات الزمان الذي شرع في بنائه عبد الرحمن الداخل في أواسط القرن الثاني للهجرة، وأتمه من جاء بعده وبنوا القصور في داخله لكل منها اسم خاص كالكامل والمجدد والحائر والروضة والمعشوق والمبارك والرشيق والبديع، وقد غالوا في زخرفها وإتقانها، وأنشأوا فيها البرك والبحيرات والأحواض التي جلبوا إليها الماء في قنوات و وزعوها فيه وفي ساحاتها ونواحيها بواسطة تلك القنوات التي اتخذت صور مختلفة الأشكال من

([1]) (محمد مكية –بغداد–ص87-92)

([2]) معجم ياقوت –ص٥٢٠ –ج٣

([3]) تاريخ التمدن جرجي زيدان _ج5_114ص

([4]) (ص136، العمارة الإسلامية خصائص واثار،د. احمد السراج

الذهب والفضة الخالصة والنحاس المموه و إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة في أحواض الرخام المرمر المنقوشة و الموشاة بالذهب، ينصب فيها الماء من أنابيب من الذهب أو الفضة بصور تماثيل الحيوانات أو الصور الجميلة على أشكال بديعة [1].

من ناحية أخرى حيث يتجلى الابداع الحضاري في عمارة مدينة قرطبة، حيث يطالعنا اروع في جمال التصميم والشكل قصر الخلافة بقرطبة المؤلف من ثمانية أبواب مطلية بالذهب والمرصع بأصناف الجوهر وزينت القاعة الرئيسية للقصر بالزخارف المذهبة [2].

وما بناه الخليفة الناصر في الزهراء كان تحفه معمارية في زمانه وهي القبة المشهورة التي جعل سقفها من الذهب والفضة، وكان الابداع في بناء وتزيين قصر الخلافة بالزهراء حيث تم تغطية ارضيته برخام ملون موشى بالذهب وزينت جدرانه بالذهب والزجاج المزخرف بزخارف ذهبية بالإضافة الى قرامدة هذا القصر كانت جميعها من الذهب الخالص [3].

والى ناحية أخرى تعكس لنا الأبداع الحضاري والجمالي هو ما كان في قصور غرناطة التي كانت تزخر بالأثاث الذي كان الذهب عنصرا أساسيا في صناعته وتحليته.

وكانت تحتوي تلك القصور على المنسوجات والأواني الذهبية والفضية مالا يعرف له قيمة، ومن أشهرها قصر الحمراء الذي يحتوي على قاعة عرفت بقاعة الذهب لكثرة ما تحتويه من الزخارف الذهبية وكانت جدران قصر الحمراء يحتوي على زخارف متنوعة وتصاوير مبدعه طليت ونقشت بالذهب وابوابه مصنوعة من الحديد والنحاس المموه بالذهب [4].

لم يكن التزيين المعماري مقتصراً على الدور والقصور بل كان يشمل دور العبادة من ناحية التصميم والتأثيث والتزيين، فقد استخدم معدن الذهب في نطاق واسع لتزيين المساجد والجوامع في العالم الإسلامي، تمثل في الزخارف الذهبية والزينة الفاخرة التي كانت جزء هاما من العمارة الإسلامية والفنون الإسلامية.

واستخدم الذهب في رسم زخارف ونقوش دقيقة على الجدران والسقوف وكان يستخدم غالبا لتزيين وإبراز التصاميم الهندسية. حيث كانت القباب الذهبية هي ميزة معمارية جميلة في

([1]) (نفح الطيب ـ المقري –ج4–ص241)

([2]) (نفح الطيب –المقري –مج 1–ص 527)

([3]) (المقري –نفح الطيب –ج 1– 527)

([4]) (نفح الطيب –المقري – ج 1)

العديد من المساجد والجوامع في مختلف أقاليم الدولة، وهذه القباب الذهبية او المزخرفة بالذهب تستخدم لإبراز المكان المقدس داخل المسجد وإعطائها بريقا خاصا وتتنوع تصاميم هذه القباب بشكل كبير بناء على الثقافة والعمارة المحلية.

وكان يستخدم صفائح الذهب او رقائق الذهب لتغطية سقف المسجد أو جزء من الجدران حيث كانت تضفي جمالا وبريقا لا مثيل له، و لم يكن الذهب يستخدم في عمارة المسجد أو الجامع بل استخدم في صناعة اثاث المسجد مثل المصابيح والشمعدانات وتغليف المصاحف وصناعة وتزيين المنابر.

حيث أن هذه النقوش والزخرفة الذهبية التي كانت على اثاث المسجد من الشمعدانات ومصابيح تعكس الضوء بأناقة وبريق. وتزيين بعض النسخ الخاصة من المصاحف باستخدام الرقائق الذهبية او بالكتابة بمداد الذهب الذي يعكس تقديرا خاصا للنصوص الدينية ويضيف لمسه من الجمال والأهمية الى هذه النسخ.

و لم يقتصر تزيين المساجد والجوامع في بغداد والقاهرة بالذهب من الداخل فقط بل كان من الخارج حيث استخدم في صناعة او تزيين أبواب الجوامع خلال العصر العباسي بنقوش وزخارف ذهبية حيث تضيف هذه الزخارف لمسة من الفخامة والجمال الى المسجد.

وهذا التنوع والتناغم في الزخرفة واستخدام المعادن في التزين يعكس الفنون الإسلامية المتنوعة والتي تجمع بين الدين والفن والعلم والابداع، والذي يظهر في اهتمام المسلمين بالكتابات المزخرفة بالذهب، حيث يستخدم في الخطوط والكتابة الإسلامية، مما أظهر بمرور الوقت فن يحمل اسم «التذهيب»، وهو فن تزيين وزخرفة السطوح الصلبة، بمادة الذهب هو عملية إضافة الذهب لسائل آخر مما يجعله مذهب، وبسبب اهتمام الفنانون المسلمون بالكتابات المزخرفة فقد أضافوا أيضا الذهب كعنصر زخرفي للخطوط.

وكان فن التذهيب أرفع الفنون الكتابية بعد تجويد الخط، وظهرت براعة المذهّبين في زخرفة الصفحة الأولى والثانية من المصحف الشريف والأخيرتين باستعمال ماء الذهب. كذلك تزيين أغلفة القرآن الكريم أو بعض كتب التراث الإسلامي واللوحات الحافظة لآيات القرآن الكريم.

فقد استخدم الفنان المسلم أداة تسمى الريشة وهي أهم أدواته لتوزيع الذهب على المكان المزخرف مسبقا، مما يساعد على توزيع الذهب وطلائه بشكل فني متميز على هذه الزخارف،

كما استخدم فن التذهيب بشكل واسع في تزيين الصفحات الداخلية للمصاحف وكتب الشعر العربي والتصوير.

فعادة يكون استخدام هذا الفن في الغلاف وفي أول صفحة ودائما ما تم استخدامه حول سورتي الفاتحة والبقرة وعناوين السور والجدير بالذكر أن التذهيب أعطى طريقة كتابة المصاحف قيمة فنية إضافية وبدأت تتداول المصاحف المُذهبة كنوع من الهدايا القيمة بين حكام الدول.

ولم يقتصر استخدام الذهب في تذهيب المخطوطات بل ارتبط بفن التجليد [1].

حيث اتقن المسلمون في العصر العباسي فن تجليد الكتب واشتهرت بغداد بدالك فقد ساعد اهتمام الخلفاء والامراء باقتناء الكتب وكان الرشيد قد انشاء مجمعا علميا راقيا زود بخزانة للكتب عرفت ببيت الحكمة وبذلك ازدهرت عملية نسخ الكتب وتجليدها وعندما جاء الخليفة المأمون المعروف بنشاطه وولعه الشديد بالعلم حيث راجت في عهده حركة التأليف والترجمة واتسعت وتطورت خزانة دار الحكمة للكتب، وزادت اهميتها واتبع ذلك رواج فن التجليد.

وكان معدن الذهب والفضة تدخل في صناعة التكييف والتطعيم [2] الذي يعتبر فن من فنون الصناعة ومن أهم الصناعات المعدنية الرائجة في ذلك العصر ما أطلق عليه اسم التكييف وقد ذكر المقريزي في حديثه عن أسواق القاهرة "سوق الكفتين" ويشتمل على عدة حوانيت لعمل الكفت وهو ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة.

وعمل الصناع والصفارون [3] في الفسطاط وغيرها على انتاج قطع النحاس المكفت بالذهب والفضة كالأباريق والمباخر والثريات والطاسات وغيرها، كما جرت العادة أن يكون في جهاز العروس دكة نحاس مكفت بالذهب حيث ان هذه المشغولات تعد تحف فنيه تعكس جمال الصنع [4].

([1]) التجليد: هو تغطية أوراق الكتب بالجلود

([2]) التكفيت: (التكفيت: وهو زخرفة المعدن الأصلي بمعدن أقيم منه ومختلف عنه في اللون/ ينظر: سعاد ماهر، الفنون،ص454)

([3]) الصفارون: الصناع الذين امتهنو صناعة النحاس

([4]) (المقريزي، خطط، ج2، 479ص)

وكانت قصور الخلفاء والأمراء تضم كميات كبيرة من الستائر الغالية الثمن كستور الديباج المذهب التي تحوي على صور للحيوانات وكانت هذه الستائر تزين جميع أبواب وممرات الخلافة ودهاليزها [1].

فضلا على ما احتوته القصور الفاطمية من الأواني الذهبية والفضية فقد ذكر المقريزي «صواني الذهب المجرات بالميناء والمنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوءة جميعها جواهر من سائر أنواع شيء كثير جداً «، كما ذكر سماط العيد الذي كان ينصب على مائدة من الفضة يقال لها "المدور" عليها من الأواني الفضيات والذهبيات الشيء يسر [2].

و لم يقتصر انتاج الفنون في العصر العباسي على هذه الصناعات فقط بل فاق الابداع الى صناعات أخرى تجلى فيها استخدام الذهب كعنصر لتزين والجمال مثل صناعة الزجاج التي ورثها العرب من الأقاليم الأخرى وحسنو هذه الصناعة وبرعوا فيها، حيث زينوا هذه المنتجات برسوم وزخارف كتابية وتصويرية وجملوها بطلاء الذهب [3].

ويشكل الزجاج المزخرف فناً من فنون البناء والديكور في التراث الإسلامي وعنصر رئيسي من عناصر الديكور التي تضفي جمالاً في العمارة الإسلامية ومظهر من مظاهرها.

واشتهرت البصرة والنجف بإنتاج المنتجات الزجاجية [4].

ولقد بلغ تقدم فن صناعة الزجاج في المشرق الإسلامي الى حد كبير حيث برع الصناع في انتاج الزجاج الملون الذي زين بزخارف والنقوش الكتابية التي تم طليها بالذهب، واستعمل هذا النوع في الغالب على جدران قصور الخلفاء ودور الامراء والأغنياء.

ولقد برع المسلمين في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية بإنتاج الزجاج المذهب وخاصة أهل فارس حيث زينوها بأشكال الزخارف النباتية والكتابات الكوفية، وقد تنوعت منتجات الزجاج حيث أنتجوا القناني والكؤوس والاباريق والمصابيح [5].

([1]) (ديماند. الفنون الاسلامية، ترجمة احمد محمد عيسى، دار المعارف، (القاهرة، 1958)، ص -278-279)

([2]) (ابن الطوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تح، تق: أيمن فؤاد السيد، دار صادر، ط1 بيروت، 1992م.، ص213)

([3]) (الأغاني – الاصفهاني – بولاق 1258-ج 3-ص47)

([4]) (ابن الفقيه – مختصر البلدان – ص253)

([5]) (هناء عبدالخالق –الزجاج الإسلامي –بغداد –مطبعة دار الحرية 1978م-ص107)

مما لا شك فيه أن صناعة الزجاج في مصر كانت قد وصلت خلال العصر العباسي إلى درجة عالية من التقدم والازدهار، وقد انحصرت أهم مراكز صناعة الزجاج في الفسطاط والفيوم والإسكندرية [1].

وكان من أهم أنواع الزجاج الذي عرف في مصر هو ذي البريق المعدني الذي كان يستعمل في الزجاج لونين في القطعة الواحدة ويكون مرسوم عليه بماء الذهب، ويمتاز هذا النوع بدقة التعبير في الرسوم الأدمية والإتقان في الزخارف النباتية والكتابية [2].

([1]) (سعاد ماهر، الفنون، ص.251).

([2]) (زكي محمد حسن، دليل المتحف الفن الإسلامي (دار الآثار العربية)، دار الكتب المصرية، [د. ط]، القاهرة،، ص: 67)

استخدامات الذهب في العلوم والطب

في الكيمياء

شهد العالم ابان عصور الحضارة الإسلامية وخاصة في العصر العباسي ازدهار وتقدم لجميع مجالات العلوم وكان للمسلمين اسهامات علمية في مجموعة واسعة من العلوم. حيث كان اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلوم وتطورها ووعيهم بأهمية العلوم ولذا دخل الذهب فيه مجال العلوم لأهميته كمعدن في صلب الكيمياء والصناعة بشتى أنواعها والرغبة باكتشاف المزيد من استخداماته، فجلبوا من الهند وبلاد الروم وفارس ومصر واليونان الكثير من الكتب وأجزلوا العطاء للعلماء والمترجمين، فكان لذلك أثر مهم وكبير على الرقي الفكري في ذلك العصر

ويدخل في استخداماته عديدة في كثير من الصناعات بعد فهم العلماء المسلمين لخواصه الكيميائية ومعرفة كيفية استخلاصه وتفاعلاته مع العناصر الأخرى.

وقد عرف الكيميائيين العرب طرق استخلاص الذهب من المعادن الأخرى وطوروها مثل الترشيح والتبخير لفصل الذهب عن المعادن الأخرى واستخدامه في الصناعات المختلفة

وكان من اهم علماء الكيمياء ومن هو جابر بن حيان الذي يعتبر من وضع الأسس العلمية للكيمياء. وهو أول من استحضر ماء الذهب الذي يدخل في كثير من الصناعات، حيث كان يستخدمه الصاغة في صقل وتلميع الأحجار الكريمة لإبراز جمالها وبريقها. ويدخل أيضا في صناعة الزجاج والمرايا لإضفاء لمعان ولون مميزين على هذه المنتجات.

والرازي الذي عده البعض من مؤسسي الكيمياء الحديثة. وله مؤلفات كيميائية عديدة ومتنوعة منها: الأسرار، وسر الأسرار، وصناعة الكيمياء أقرب إلى الوجود منها إلى الامتناع. والتي استطاع الرازي من خلالها إلى كشف الكثير من المركبات، وفهم الكثير من خواصها كالذهب والفضة والزئبق ومعادن أخرى [1].

اعتمد الهمذاني في كتابه على المنهج التجريبي وضمن كتابه دراسة تفصيلية لكل المعادن المعروفة في عصره وأهمها الذهب، من حيث: خاماتها، وطرق تنقيتها، وفحص خواصها الطبيعية والكيميائية

([1]) عبد الجبار ناجي – دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦م، ص١٢٩

صناعة الادوات الفلكية:

ولمعدن الذهب استخدامات كثيره في شتى انواع العلوم الإنسانية أيضا، حيث له دور مهم في صناعة الادوات الفلكية نظرا لخصائصه الفريدة وفي جودته، وكان علماء الفلك يقدرون معدن الذهب لأهميته في الصناعة، حيث يساعد في تحسين أداء هذه الادوات وزيادة دقتها وقيمتها التاريخية.

فقد تم استخدام الذهب في صنع الأجزاء الدقيقة للأدوات الفلكية مثل والمسامير والمشبكات والتروس لضمان جودتها واستمراريتها، وايضا عدسات ومرايا دقيقة للأدوات البصرية.

وقد أسهم المسلمون بتطوير صناعة الإسطرلاب وهي من أهم الأدوات الفلكية التي اعتنى المسلمون بصناعتها وتطويرها، واستعمله العرب في قياس مدى ارتفاع الكواكب والنجوم ومدى ميلها، وكذلك في تتبع ظهورها واختفائها، كما استخدموه أيضا في حساباتهم الجغرافية والطبوغرافية وفى معرفة الاتجاهات، واسترشدوا به في الملاحة وعرفوا منه أوقات الصلاة. ويصنع الإسطرلاب عادة من الذهب أو البرونز أو النحاس الأصفر.

حيث أن معدن الذهب نفيس يتيح سهولة التشكيل والتصنيع ويمكن ان يكون متينا ودقيقا مما جعل الادوات الفلكية حاسمة للمراقبة والحسابات الدقيقة.

وايضا يدخل معدن الذهب في صناعة انبوب الذهب الذي يستخدم في قياس ارتفاع الكواكب والنجوم في الافق، وكان يستخدم الذهب في الزخرفة على الانبوب الفلكي لجعله أكثر جمالا ورقيا.

واستخدام معدن الذهب صناعة في الأدوات والأجهزة الفلكية لم يكن مجرد تزيين بل كان له دور هام في تحسين أداء هذه الأدوات وزيادة دقتها، مما ساهم في تطوير الفلك والعلوم المرتبطة بها في العالم الاسلامي خلال تلك الفترة.

استخدامه في الطب والتجميل والتداوي:

وكان لمعدن الذهب العديد من الاستخدامات في مجالات العلوم الأخرى لكن نتطرق الى مجال الطب، لما عرف عن المعادن والاحجار من الفوائد الطبية وكان من الأسباب التي دعت العامة والخاصة لاقتناء هذه المعادن والأحجار غير جمالها ولعظم ثمنها خفة حملها انه اعُتبر ان معدن الذهب وغيره من المعادن الثمينة علاجا لبعض الامراض.

وكان لعلماء المسلمين اسهامات عظيمة في هذا المجال حيث استخدموا المعادن في التداوي وخاصة معدن الذهب الذي وصفوه بطريقة مباشرة لتداوي او انهم ادخلوه في المركبات الطبية او الصناعات الطبية.

حيث استند على استخدام الذهب في الطب الى المعرفة والممارسات الطبية المتاحة في تلك الفترة، وكانت تلك الممارسات الطبية تعتمد على تجارب سابقة بخصائص المعادن، ويجدر بالذكر ان التقنيات والمعرفة الطبية قد تطورت بشكل كبير منذ ذلك الوقت، واستخدام معدن الذهب في مجالات طبية مختلفة واستخدمها في صنع آنية الاكل والشرب.

احتل طب الاسنان مكانة مرموق عند العباسيين ومن أرصدة أطباء العصر تشخيص ووصف بعض الامراض وهي ما تعرف حاليا في طب الاسنان بنفس الوصف. ولعب معدن الذهب دوراً مهمًا في طب الاسنان ويستخدم بشكل شائع في التيجان والحشوات والجسور.

ولقد برع الأطباء المسلمون في عملية تشبيك الاسنان المتحركة وذلك بمعالجتها بالجبيرة السلكية المصنوعة من الذهب، حيث فضل العالم المسلم الزهراوي خيط الذهب على خيط الفضة لأن الفضة تتلف وتتعفن بعد أيام كما يقول، وأما الذهب فهو باق على حاله، لأن الخيط اذا تعفن تحرك وتزعزع من مكانه مما يؤثر على شد الأسنان المتحركة، وأيضا خيوط الذهب قابله لسحب لخيط أدق أكثر من الفضة، وقد صنع المشابك الذهبية الخاصة بتقويم الاسنان [1] وفي كتاب الجوهرتين العتيقتين للهمذاني في باب (منافع الذهب والفضة) تطرق للحديث عن بعض الأمراض وطرقها علاجها بالمعادن، حيث وصف طريقة إحماء قطعة النقود الذهبية حتى تكتسب شيء من الحرارة ثم وضعه بين عينين الطفل وذكر أن ذلك نافع إذا فزِع او لُدغ، وذكر أيضا أن

([1]) الزهراوي – التصريف لمن عجز عن التأليف – ص 28-30

الاغتسال بماء بارد فيه قطع من الذهب يكون نافعا لمن أصابه الطفح الجلدي وأن خلط مركب الزئبق مع الذهب يكون نافعا لمن اصابهم الجرب.

ومن جملة ما اورده الهمذاني في كتابه عن فوائد معدن الذهب في التداوي حيث تستخدم سحالة الذهب مع العسل كمرهم لعلاج الأمراض الجلدية أيضا وتدخل أيضا في صناعة الاكحال الخاصة بالعيون.

واستخدم الأطباء الذهب في علاج العديد من الأمراض والمشكلات العينية، حيث تم استخدم معدن الذهب بشكل موجز في تركيب بعض الادوية والعلاجات المستخدمة في مشاكل العين كما ذكر ابن حيان انه اذا جمع سحالة اللازورد مع الذهب فأنه ينفع للعيون اذا جعل في الأكحال وهو بارد ويابس [1] كما ذكر الزهراوي وصفة سحالة الذهب والفضة إذا وضعت بالعين تقوي العين ونافعة لها من بياض العين إذا غسلت بها.

وذكر أيضا ابن سيناء في كتابه القانون ان لذهب منافع لأمراض العين حيث انه يقوي النظر خاصة اذا اكتحل به وانه نافع مجفف لجروح العين وقروحها و ذكر أيضا انه نافع من بياض العين ومائها ويقوي العين [2]

وقد برع الأطباء والصيادلة في تجهيز الأدوية من المستخرجات المعدنية واهم تلك المعادن المستخدمة في صنع الأدوية والعقاقير الطبية مثل المرتك [3]

يستخدم بعد أن يضاف إليه الذهب والفضة كعلاج لملء الجروح الغضة. كما انه يذهب اللحم الزائد في القروح ويعتبر علاجا شافيا للقروح والبثور إذا خلط بالخل والزيت.

كما وصفو سحالة الذهب في الأمراض النفسية كمهدئات، وفي علاج المرض الجلدي داء الثعلب وداء الحية حيث يطلى المكان المصاب في الرأس وكما تدخل المادة ذاتها في صناعة ادوية القلب والخفقان [4].

([1]) مخطوط الخواص الكبير –ابن حيان –ص13

([2]) القانون –ج1–ص422

([3]) المرتك (أوكسيد الرصاص)

([4]) (دندشء –الأندلس نهاية المرابطين– ص188)

ومن ابتكارات الأطباء المسلمين أنهم استطاعوا أن يغلفوا الادوية غير المستساغة في الطعم او التي لها رائحة برقائق الذهب وجعلوها على هيئة أقراص وكبسها بقوالب خاصة ووصفوا الذهب والفضة كأدوية مفيدة للقلب [1].

و لم يكن استخدام معدن الذهب مقتصرا على مركبات الادوية، بل أيضا على تصنيع الأدوات التي يتم فيها الكشف على العين او المساعدة على وضع الدواء فيها مثل الملاقط والمشابك والابر.

وقد استعمل اطباء العيون لوضع الدواء في العين ألة عرفت باسم الميل وهي تتضمن بشكل عام ميزان ودلو صغير مملوء بالمحلول الطبي السائل الذي يتم استخدامه لعلاج العين و غسيلها او إزالة جسم غريب فيها، والتي ينبغي ان تكون هذه الآلة اما من الذهب أو الفضة أو النحاس [2].

وأورد صاحب كتاب الدوحة المشتبكة بعض فوائد واستخدامات الذهب في الطب حيث قال عن الذهب انه معتدل لطيف سحالته تدخل في تركيب الادوية وشرح الكي وأفضله وأيسره ما كان أداته مصنوعة من الذهب، وذكر أن امساكه بالفم يزيل البخار أي الرائحة، وأيضا تدخل سحالة الذهب في دواء داء الثعلب وداء الحية طلاءً [3] وذكر ان الذهب يقوي العين إذا استخدم كحلاً، وينفع من اوجاع القلب ومن الخفقان وحديث النفس وخبثها.

كما نقل ابن بعره في كتابه عن الأوائل [4] انه قال إذا اخذا خاتم من ذهب ثم حمي بالنار وكوي به قوادم لأجنحة الحمام ألفت أبراجها و لم تفارقها، وان ثقبت الأذن بأبرة من ذهب لم يلتحم و لم تنقط، أي تترك أثر او بقعة.

كما أورد في كتابة عن منافع الذهب انه إذا سقي منه الملسوع من الأفعى برئ من ساعته وإذا سقي منه لمن سقي السم أبرئه وكف عمل السم في الجسم، وإذا وضع منه على الجرح الخبيث شفاه في أيسر وقت، وذكر أيضا انه اذا عمل من الذهب مثقال في الفم ويقوي القلب.

([1]) احمد شوقي الفنجري –العلوم عند المسلمين –ص76)(فروخ –تاريخ العلوم عند العرب –ص295)

([2]) (الحريري: ابو محمد عبدالله بن قاسم بن محمد اللخمي الشبيلي)ت: 646 هـــ / 1248م(نهاية الأفكار ونزهة الابصار، تحقيق. حازم البكري، منشورات العالم، دار الرشيد، مطبعة دار الحرية،) بغداد1980م (، جـ،1 ص41) الكحال، تذكرة الكحالين، ص.63

([3]) داء الثعلب وداء الحية طلاءً

([4]) (الكاملي، منصور ابن بعره الذهبي، كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ص 56)

وأيضا ذكر علي بن عيسى الكحال في تذكرته استخدام الذهب في التداوي حيث ذكر أن الاقليما [1] التي تخرج من شحيرة الذهب والفضة هي من أفضل أدوية العين وتنفع لتجفيف إذا كان فيها رطوبة أو سيلان حار، وذكر أيضا أن سحالة الذهب تصلح للأثر أي أثر الجروح والقروح، وذكر أمها مفيدة لحرقة العين وبياضها، واوردها نفعه لبعض الأمراض مثل الجرب العتيق وكل علة عتيقة كالسيل العتيق (ويقصد به كل علة مظهرها السيلان أي سيلان الجرح).

ويدخل معدن الذهب في صناعة أدوات الجراحة وهي الأدوات والأجهزة والآلات المصممة لإجراء الجراحات الطبية، وهناك الكثير من أدوات الجراحة التي تستخدم في الجراحات العامة، والكثير أيضاً مما خصص لأنواع معينة من الجراحات، وأسماء أدوات الجراحة لها أسبابٌ مختلفة، منها ما سمي تبعا لاسم المخترع، ومنها ما سمي تبعا لنوع الاستعمال، وتفيد أدوات الجراحة الأطباء في إجراء العمليات حيث لا تتم العمليات بدونها، ولقد تطورت صناعة الأدوات الجراحية مع الزمن.

العمليات الجراحية:

ويستخدم الذهب بشكل محدود في بعض العمليات الجراحية بسبب ما يتمتع به هذا لمعدن من خصائص ومن أهم ابتكارات علماء المسلمين في هذا المجال الأدوات الجراحية والتشخيصية ما ابتكره العالم المسلم الزهراوي وهي آلة رقيقة من المعدن أوصى بصناعتها من الذهب أو النحاس لإزاحة اللسان للأسفل عند تشخيص أمراض الحلق، أو إجراء عملية استئصال اللوزتين، كما أورد في موسوعته الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف مقالة تكلم فيها عن الجراحة والأدوات التي استعملها والتي تضمنت ما يزيد عن 200 أداة تستخدم في الجراحة، ويدخل معدن الذهب في الكثير من صناعتها.

وشاع عند الأطباء المسلمون أنواعا من أدوات الكي، من بينها الإبر الدقيقة ذات السن الواحد أو شعبتين أو ثلاثة. وصنعوها من الحديد، أو النحاس أو الذهب أو الفضة. واكتشاف العديد من الأدوات الطبية التي تطورت واستخدمت إلى يومنا هذا، من قِبَل العديد من العلماء أبرزهم أبو القاسم الزهرواي؛ ومن الأمثلة على هذه الأدوات الدقيقة مثل الحقن، والملاقط الطبية.

([1]) الاقليما: (هي مادة تخرج من خبث الذهب والفضة بعد صهرها حيث انها ترسب في القاع)

المبحث الرابع: سك النقود والعملة

النقود:

هي عملات معدنية اتخذت من معدن الذهب والفضة حيث يتم الاعتماد عليها في إصدار العملات الرئيسية لدولة.

وقد بين عدد من علماء المسلمين أهمية الذهب والفضة في النظام المالي حيث انها تأتي في المعاملة أولا في جميع الأشياء وتعتبر أدلة التبادل ومقياس للقيمة الأشياء ووحدة الحساب وتعتبر أيضا وسيلة للاحتفاظ بالثروة واداة للادخار.

ولما لنقود من أهمية كبيرة في الشريعة الإسلامية لارتباطها بالمعاملات الشرعية والفقهية كالخراج والزكاة والعقود والبيع والشراء والاوقاف وتعتبر أيضا من وسائل سداد الحقوق الواجبة [1].

ويقول النيسابوري (وإنما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الأشياء..)

ويقول الامام النسفي (الذهب والفضة قانون الثمول وثمن الأشياء) [2].

عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة هي العملة الذهبية ووحدها الدينار، والعملة الفضية ووحدها الدرهم، والعملة النحاسية ووحدها الفلس

كما عرفها ابن خلدون (هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد، يُنقش فيها صور وكلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار والدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة.

وعُرفت ايضاً بأنها الحديدة التي يطبع عليها الدراهم والدنانير، ولذلك سميت الدراهم والدنانير المضروبة بالسكة [3] والسكة قالب حديد كتب او نقش عليه عبارات تخص الخليفة او الحاكم ويضرب عليها الدراهم والدنانير، وفي حديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم: عن كسر سكة

([1]) (أبو بكر الصديق عمر متولي – اقتصاديات النقود – ص43-44)

([2]) (اقتصاديات النقود في اطار الفكر الإسلامي –ص19-20)

([3]) (الماوردي، الاحكام السلطانية، القاهرة ،1909م، ص140)

المسلمين الجائزة إلا م بأس) أراد بالسكة الدينار والدرهم المضروبين، سمي كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة له [1].

وكانت الدنانير والدراهم الإسلامية تضرب او تسك في مصانع خاصة عرف الواحد منها باسم دار الضرب او دار السكة. واستخدم العرب بعد الفتوحات الدور التي كانت موجودة في أيام الساسانيين والبيزنطيين [2].

وصناعة السكة تعتمد على إعداد معدن الذهب والفضة الخام وتخليص كل معدن مما قد يكون قد أختلط به من الشوائب وتصفيته، وضبط وزنه وعياره.

حيث تعتبر دار ضرب النقود وسكها من أهم مؤسسات الدولة ومن الجهات الرئيسية في الدولة الاسلامية. فهي تصدر مختلف أنواع العملات سواء كانت ذهبية أو فضية، وهي

الجهة المسئولة عن تجهيز النقود وتصنيعها لسد احتياج الدولة. وتعد مخزنا لكميات المعادن الثمينة التي تحتفظ بها الدولة احتياطا لها [3].

في بداية الأمر استعمل المسلمون في عهد رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين واوائل العصر الاموي النقود البيزنطية والساسانية التي كانت سائدة قبل الإسلام. وهي الدينار البيزنطي وهو عملة ذهبية، والدرهم الساساني وهو عملة فضية.

في خلافة عبد الملك بن مروان عندما بدأ تعريب الدواوين بدأ كذلك تعريب النقود. وقد تم ذلك بصورة تدريجية. فاستخدمت الدولة الاموية الدنانير الذهبية البيزنطية القديمة نفسها مع بعض التعديلات كإضافة عبارة لا إله الا الله محمد رسول الله على أحد وجهي الدينار الذهبي مع إبقاء صورة الامبراطور البيزنطي هرقل على الوجه الآخر.

بعد انتقال الخلافة للعباسيين في سنة 132هـ، انتقلت السلطة من الشام إلى العراق. وجد ان المسكوكات النقود العباسية في بداية الامر مشابهه للمسكوكات الاموية، حتى أمر الخليفة أبو العباس بأنشاء دار جديدة لسكة في مدينة الانبار، وامر بإزالة شعار الأمويين من نقوش العملة، فاستبدل بسورة الإخلاص من ظهر العملة عبارة نصها محمد رسول الله وفيما عدا

---

(1) (عبدالرحمن فهمي –فجر السكة العربية –ص28)

(2) الساسانيين والبيزنطيين

(3) (النظام النقدي –احمد النجيدي - –ص49)

ذلك استمر استعمال النقوش القرآنية بالخط الكوفي على الدنانير الذهبية الجديدة [1].

ثم انشاء الخليفة أبو جعفر المنصور داراً أخرى لسك النقود في مدينة الهاشمية في العراق

كما أنشاء هارون الرشيد دارين جديدتين لضرب النقود في مدينتي بغداد والمحمدية من أعمال الري [2]كما حافظ العباسيون في بداية الأمر على استمرار ضرب الدنانير الذهبية في كل من مصر ودمشق [3].

حيث بدأت الإشارات الأولى نحو التغير تظهر على العملة العباسية منذ عهد الخليفة المهدي الذي أمر ببناء دار لسك النقود في قصره الخاص وقد سجل على النقود اسم قصره (قصر السلام) بنقش علامات منقوطة، أو حروف تفيد بضبط العملة وتحديد صلاحيتها للتداول [4].

أيضا أنشاء وزير الدولة خالد البرمكي بأمر من الخليفة هارون الرشيد دار لضرب النقود الذهبية في صنعاء، واستمر العمل في هذه الدار حتى نهاية عصر الخليفة المتوكل [5].

كما أنشاء الخليفة المأمون دار لضرب النقود في مرو من أعمال خراسان، كما أنشاء دار في مدينة الفسطاط واستمرت هذه الدار في عملها حتى قيام الدولة الفاطمية سنة 358هـ، حيث أنشئت دار جديدة في القاهرة [6].

وكانت هناك دور لسك العملة في شمال أفريقيا أنشاءها الاغالبة [7] في مدينة القيروان لسد احتياج الدولة والافراد من العملات المعدنية المختلفة، وفي بلاد المغرب انشاء الادارسة في مدينة فاس ومراكش وسجلماسة دورا لسك العملة [8] وكذلك أنشاء حكام الاندلس مجموعة من دور سك العملة في قرطبة واشبيلية ومالقه وطليطلة إذا ان سك العملة يعد مظهرا من مظاهر القوة لدولة واستقلالها اقتصاديا وسياسيا.

([1]) (المقريزي-النقود-ص46- الانبار بلدة تقع على شاطئ الفرات غربي بغداد)

([2]) (المقريزي-النقود-ص47)

([3]) (ناهض دفتر، المسكوكات الإسلامية، ص175)

([4]) (النقود الإسلامية-عاطف منصور رمضان –ص 70)

([5]) (الهمذاني-الجوهرتين العتيقتين-ت- حمد الجاسر ص144 -266-267)

([6]) المقدسي-أحسن التقاسيم -200)

([7]) (عبد العزيز سالم - تاريخ المغرب في العصر الإسلامي-ص407)

([8]) (ابن سعيد-المغرب في حلي المغرب-ج1-ص46)

حيث قام الأمير عبد الرحمن الأوسط بأنشاء دار لسك النقود الذهبية والفضية باسمه في قرطبة، وكان لهذا الدار دورا مهما في عملية التبادل التجاري بين المسلمين والنصارى بالأندلس [1].

وكان يعمل فيها عدد من الموظفين والعمال منهم السباكون الذين يقومون بصهر المعادن واعدادها. والضرابون الذين يضربونها بأحجامها واوزانها المطلوبة، ثم النقاشون الذين كانوا يقومون بحفر قوالب النقش، والكتابة، وكذلك الكتاب الذين يختصون بتسجيل فئات النقود وكمياتها واوزانها في سجلات خاصة [2].

قد أسهمت العقيدة الإسلامية إسهاما كبيراً في تطور صناعة السكة في العالم الإسلامي بفضل اهتمام الشريعة الإسلامية بالنقود، لكونها تدخل في ميدان العبادات والمعاملات، وذلك لصلاتها المباشرة والوثيقة بالزكاة والصداق والعقود والوقف والعقوبات والدية وغيرها.

وتبقى دار السك محور اهتمام خلفاء الدولة الإسلامية خاصة عند حدوث الغش أو التلاعب وكانت مهمة دار السك في استقبال المواد الخام التي ترد اليها وتجهيزها ومن ثم سكها نقود بحيث تفي احتياجات الدولة [3] وقد لعبت السكة الإسلامية دورا مهماً في الحياة السياسية في العصر العباسي، وذلك لما تمتعت به من أهمية كبيرة فقد كانت تمثل أهم علامات المُلك والسلطان التي حرص على اتخاذها الخلفاء والحكام بعد اعتلائهم للحكم مباشرة، فكان على الخليفة أو الحاكم أن يقوم بأمور رئيسية لإعلان عن توليه الحكم، أول هذه الأمور هي ضرب السكة وتسجيل اسمه عليها، ثم الدعاء له في خطبة الجمعة.

مما يجعل النقود الإسلامية مصدر مهماً لدراسة النظام السياسي والاقتصادي فالنقود لا يقتصر ضربها على التعامل والتبادل التجاري، بل لها دوراً آخر لا يقل أهمية عن الدور التجاري والسياسي، ألا وهو الدور الإعلامي. كما ارتبطت السكة ارتباطًا وثيقًا بالفنون الإسلامية، حيث تساعد نقوشها في التعرف على الكتابات الأثرية المنقوشة عليها ودراسة دلالاتها السياسية والتاريخية والعقائدية إلى جانب كونها مصدراً مهمًا للتعرف على أسماء البلاد والأماكن التي ضُربت فيها، وكما تُعد النقود مدرسة للتصوير في مراحلها المختلفة، إذ تعطينا في كل فترة زمنية تصوراً كاملاً لمميزاتها العامة والخاصة.

([1]) (رسائل الصاحب ابن عباد- ج1-ص115،56)

([2]) (قدامة بن جعفر - الخراج وصنعة الكتابة -136)

([3]) (نايف بن عبد الله الشرعان: التعدين وسك النقود في الحجاز ص126-127

المحتويات

المقدمة 3
استخدام الذهب في اللباس والزينة 4
استخدام الذهب في العمارة والفنون 10
استخدامات الذهب في العلوم والطب 17
في الكيمياء 17
صناعة الادوات الفلكية: 18
استخدامه في الطب والتجميل والتداوي: 19
المبحث الرابع: سك النقود والعملة 23
النقود: 23